الإيمان

من الدرر التي قرأتها كلمات عن الإيمان للإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "الفوائد".

والإمام ابن القيم من الأئمة الأعلام، بلغ مبلغا رائداً في النقد والتحليل، والعمق في التفكير، والبعد في النظر، والذوق والشفافية بما لم يبلغه الكثير.

وإن من يطلع على كتابات هذا الإمام الجليل، ليرى حقيقة ذلك ماثلا في تجسيمه للمعاني، وتصويره الصادق لما يعتمل في دخيلة نفسه، حتى لتكاد تلمس تعبيره تنساب معانيه في قلبك كالنهر العذب الذي يروي ماؤه القلوب الظمأى.

وإليك بعض ما سطر قلمه عن الإيمان– فيقول:

ما الإيمان؟ إن أكثر الناس أو كلهم يدعونه ، **{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}** . وأكثر المؤمنين إنما عندهم إيمان مجمل، وأما الإيمان المفصل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم معرفة وعلما، وإقرارا ومحبةً ومعرفة بضده وكراهيته وبغضه ، فهذا إيمان خواص الأمة وخاصة الرسول ، وهو إيمان الصديق وحزبه. وكثير من الناس حظهم من الإيمان الإقرار بوجود الصانع وأنه وحده هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما ، وهذا لم يكن ينكره عباد الأصنام من قريش ونحوهم. و آخرون الإيمان عندهم هو التكلم بالشهادتين. سواء كان معه عمل أو لم يكن. وسواء رافق تصديق القلب أو خالفه. وآخرون عندهم الإيمان مجرد تصديق القلب بأن الله سبحانه خالق السماوات والأرض. وأن محمدا عبده ورسوله. وإن لم يقر بلسانه ولم يعمل شيئا، بل ولو سب الله ورسوله وأتى بكل عظيمة وهو يعتقد وحدانية الله ونبوة رسوله؛ فهو مؤمن. وآخرون عندهم الإيمان هو جحد صفات الرب تعالى من علوه على عرشه ، وتكلمه بكلماته وكتبه، وسمعه وبصره ومشيئته. وقدرته وإرادته. وحبه وبغضه ، وغير ذلك، مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله: فالإيمان عندهم إنكار حقائق ذلك كله وجحده ، والوقوف مع ما تقتضيه آراء المنهوكين وأفكار المخرصين، الذين يرد بعضهم على بعض وينقض بعضهم قول بعض، الذين هم كما قال عمر ابن الخطاب ، والإمام أحمد: (**مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون على مفارقة الكتاب**) وآخرون عندهم الإيمان عبادة الله بحكم أذواقهم ومواجيدهم وما تهواه نفوسهم من غير تقييد بما جاء به الرسول. وآخرون الإيمان عندهم ما وجدوا عليه آباءهم وأسلافهم، بحكم الاتفاق كائنا ما كان. بل إيمانهم مبني على مقدمتين: إحداهما أن هذا قول أسلافنا وآبائنا، والثانية أن ما قالوه فهو الحق. وآخرون عندهم الإيمان مكارم الأخلاق ، وحسن المعاملة ، وطلاقة الوجه. وإحسان الظن بكل أحد ، وتخلية الناس وغفلاتهم. وآخرون عندهم الإيمان التجرد من الدنيا وعلائقها ، وتفريغ القلب منها والزهد فيها، فإذا رأوا رجلاً هكذا جعلوه من سادات أهل الإيمان. وإن كان منسلخا من الإيمان علماً وعملاً.

وأعلى من هؤلاء من جعل الإيمان هو مجرد العلم وإن لم يقارنه عمل، وكل هؤلاء لم يعرفوا حقيقة الإيمان، ولا قاموا به، ولا قام بهم وهم أنو اع: منهم من جعل الإيمان ما لا يعتبر في الإيمان، ومنهم من جعله ما هو شرط فيه ولا يكفي في حصوله، ومنهم من اشترط في ثبوته ما يناقضه ويضاده ، ومنهم من اشترط فيه ما ليس منه بوجه.

والإيمان وراء ذلك كله، وهو حقيقة مركبة من: عرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم علماً، والتصديق به عقداً، والإقرار به نطقاً، والانقياد له محبة وخضوعاً، والعمل به باطناً وظاهر ا، وتنفيذه، والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكماله في الحب في الله، والبغض في الله، والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده، والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهر ا وباطناً، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الهورسوله، وباله التوفيق.

سعد ندا